الجامعة المستنصرية

كليـــــــة الآداب

قسم اللغة العربية

الدراســات العلـيا

السَّرد في أدب الرَّحلات

(من القرن الرَّابع الهجري ، حتَّى نهاية القرن الثَّامن الهجري)

أطروحة تقدَّمت بها

زينب علي عبد الحسين المعموري

إلى مجلس كلية الآداب في الجامعة المستنصرية،وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه في فلسفة اللّغة العربية وآدابها

بإشراف

الأستاذ الدكتور خالد علي مصطفى

١٤٣٢ هـ ٢٠١١م

المقدّمة

نظراً لقيمة الرِّحلات ، بوصفها أحد روافد التراث العربي الإسلامي ؛ لما تشكله من مصدر لوصف الثقافات الإنسانية المختلفة ، والكشف عن الحقائق العلمية وتقديم المعلومات الجغرافية ، فضلاً عن كونها وثيقة تاريخية ، تؤرخ للكثير من الحوادث ، والشَّخصيات والتقلبات السياسية ، فقد كثرت الدِّراسات الَّتي تناولتها غير أنِّها كانت في مجملها دراسات مضمونية تنصرف إلى دراسة الرّحلة من حيث النشأة، والتطور، والموضوعات الَّتي عالجتها ،وما اشتملت عليه من حقائق علمية ،أو بنيات أسلوبية بسيطة ،أمَّا فيما يتعلق بجوانبها الفنية ، فلم تولِ اهتماماً للبنية السَّردية الَّتي تشكل موضع العصب منها .

لهذا جاءت هذه الدِّراسة الموسومة ب(السَّرد في أدب الرِّحلات من القرن الرابع حتَّى نهاية القرن الثَّامن الهجري) منصبةً على هذا المنحى ؛ لتلمس بنيته وخصوصيته فيها .

أمَّا عن منهجها ، فهي وإن اعتمدت على منهج جيرار جينت في الأعم الأغلب إلا إنها انفتحت بحثيا على مناهج أخرى، نظرا لتعدد اتجاهات علم السرد في التفاعل مع النص الأدبي والإفادة من معطيات تلك المناهج ومفاهيمها بما يتناسب وموضوع الدراسة .

أما عن مادة البحث فجمعها قائم على الاستقصاء ، والانتقاء ، سواء أكان ذلك في الرّحلات موضوع البحث ،أم في النَّصوص الَّتي وظفت للاستشهاد بها في مواضعها . وعليه فقد كان هم البحث منصرفاً إلى تثبيت المحاور الآتية :

المحور الأول : انتقاء الرِّحلات الَّتي ستكون موضوعا للدِّراسة، وذلك لكثرتها وتشعب أزمنتها ،فضلاً عن تنوع السِّمات الفردية لرّحالتها ، فالمسعودي ، وابن منقذ، وياقوت الحموي ، وأبو دلف ، والهروي ، وكثير غيرهم قد تجاذبوا أطراف الحل والارتحال وكتبوا عن مشاهداتهم ، وما صادفوه، وكان في كتاباتهم ما يثري الموروث العربي القديم .

لذا جاء انتقاء الرِّحلات موضوع الدِّراسة مراعيا الأمور الآتية :

١ـ التَّنوع الزمني،فقد حرص البحث على أنْ تكون من مشارب زمنية مختلفة

انحصرت في مجملها بين القرن الرّابع والثَّامن الهجري . ومرد ذلك إلى أنَّ الرّحلات لم تستكمل تطورها في سماتها المضمونية ، ولم تنضج منهجيتها إلاَّ بعد القرن الثالث الهجري .

٢ـ مراعاة التَّنوع في الطَّابع العام الغالب على مضمون الرِّحلة. فجاءت بناءً على ما تقدَّم كالآتي :

أ ـ رحلات ذات طابع ديني ، تمثلت برحلتي ابن جبير ،التَّي تمت في القرن السَّادس الهجري ، وابن بطوطة، التِّي قام بها في القرن الثَّامن الهجري .

ب ـ رحلات ذات طابع جغرافي ،تمثلت برحلتي المقدسي التَّي تنتمي للقرن الرَّابع الهجري ، وعبد اللطيف البغدادي في القرن الخامس الهجري .

ج ـ رحلات ذات طابع اجتماعي ، كرحلة ابن فضلان في مطلع القرن الرَّابع الهجري .

د ـ رحلات ذات طابع علمي، تمثلت برحلة البيروني التي تمت في القرن الرابع الهجري .

هـ ـ رحلات ذات طابع تأريخي ، سياسي ، تمثلت برحلة ابن خلدون التَّي تنتمي إلى القرن الثَّامن الهجري.

المحور الثَّاني : التَّحقق من الهوية الإجناسية لأدب الرِّحلة من جهة، والوقوف على القرائن التَّي تدل على أدبيتها من جهة أخرى.

المحور الثَّالث: الكَّشف عن البنية السَّردية في الرِّحلة من خلال دراستها لتلمس خصائص السَّرد فيها ومدى انسجامه مع تصنيفات النّقاد السَّردية ، لِما تحمله من سمات مغايرة عن المتخيل السَّردي؛ لكونها مشاهدات حقيقية تنتمي إلى الواقع .

المحور الرابع : الكَّشف عن جانب مما حملته الرّحلات من معلومات معرفيه عامة كالتعريف بالشّعوب وعاداتهم ، وطقوسهم ، والى أي مدى ظلَّ الرَّحالة متمسكا بدقته ،و موضوعيته في النقل .

وبناء على ما تقدَّم من معطيات ، جاءت هيكلية البحث منتظمة في أربعة فصول أساسية، سُبقت بمقدّمة ، وتمهيد ، وذيلت بخاتمة اشتملت على ما توصل إليه البحث من نتائج . وقد جاء في التَّمهيد ما يأتي :

ـ التعريف بالرِّحلة في اللُّغة ، والاصطلاح ، والبحث في الهوية الاجناسية للرِّحلة

والتعريف بالسَّرد ، وآلياته ، وأهم ما جاء للنّقاد فيه من آراء ، تم ربطها بالرِّحلة من خلال معرفة علاقة السَّرد بالرِّحلة .

ـ في حين جاء الفصل الأول منصباً على دراسة الرَّاوي، وتعريفه ووجهات النَّظر المتعلقة بمساحته في البنية السردية ، وبيان الاختلافات بين دور الراوي في المتخيل السَّردي ، ودوره في السَّرد الواقعي ، ودراسة أنماطه بين الموضوعية

والذَّاتية ، وما يتناسب معهما من وظائف اضطلع بها .أمّا المبحث الثاني ،فقد تناول المروي له ، وتعريفه ، وأنواعه ، ومساحته ، ومظاهر وجوده في السَّرد .

ويتناول الفصل الثاني الأسلوب في أدب الرِّحلة ، لا من حيث اللغة الموظفة داخل السرد ،بقدر ما يعنى بأسلوب النقل من حيث الإيقاع الزَّمني وأثره في سرعة السَّرد أو إبطائه، وتتبع هذه الحركات الزَّمنية على امتداد نصوص الرِّحلة .

أمَّا الفصل الثَّالث ،فقد تناول الوصف وتعريفه ، والوقوف على أهميته في النَّص

السَّردي بشكل عام والرِّحلة بشكل خاص ، فضلاً عن بيان العلاقة بين العين الواصفة ، وما تقع عليها من موصوفات مختلفة ، والتَّي تشّظت في البحث

إلى :وصف شخصيات ، وصف أماكن ، وصف ماله علاقة بحياة الإنسان،

(الحيوان ، النبات ، الطبيعة) .

في حين جاء الفصل الرابع منصبا على دراسة العادات ،التي رصدتها الرِّحلات

وأنماطها سواء أكانت في العادات العامة المشتركة ، أم التَّي تشكل سمات تفرد

يوسم بها مجتمع من المجتمعات . مرورا بطقوسه وختاما بالمبالغات التَّي وردت

في ثنايا الرِّحلات منها. ومما تجدر الإشارة إليه ، أنَّ الشَّخصيات لم تدرسْ من حيث دورها وظيفياً داخل السَّرد ؛ نظراً لكثرتها وتشعبها ، فضلا عن دورها داخل الحدث فهي في أعمها شخصيات غير نامية ، لذا دُرِست من حيث صفاتها وميزاتها العامة ، سواء أكانت تلك الميزات محاسنَ ،أم عيوبا .

أمّا وصف المكان فقد صنف إلى ما انصرف من وصف قصد به الآثار ، والعمران وآخر ليكون انعكاساً لساكنيه ، مع ملاحظة عناصر المغايرة بين الصنفين من حيث الدَّقة في الوصف. فضلا عن المكان بوصفه فضاء يضم موصوفات أخرى لها علاقة بحياة الإنسان ، وهي الحيوان ، والنَّبات ، والطَّبيعة .

حتى إذا تم البحث على أربعة فصول أُعقِبَ بخاتمة جاء فيها ما فتح الله بها على أمَته من نتائج بعد طول الجهد، والمكابدة، وكثرة الضغوط التَّي استجمّعت شتاتها فوق وهن قدرتي ، فالمصادر وصعوبة الحصول عليها ، وتشعب الموضوع وتفصيلاته ، فضلا عن صعوبة النقل ،والتنقل ،أخذت موضع الصَّدارة منها .

شاكرة فضل من ملكوني أمة لتعليمهم إياي، وحامدة جهد أستاذي ومشرفي الأستاذ الدكتور خالد علي مصطفى ، الذَّي كان حريصا على تعليمي أصول البحث العلمي المنظم ، والاستقراء المثمر، جابراً عثرة علميتي متى ما كبت بي، وهو في كلِّ ذلك قارئ ، مرشد ، مناقش ، صبور على تخبطي، وقلة حيلتي ، حريص على أنْ تخرج هذه الدِّراسة بعيدة عمّا يوقعها في إسفاف التَّكرار ، أو تقصير الابتسار من دون أن ابخس أي حق لمن أحسن إليَّ فتيلا

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصَّلاة والسَّلام على أمام المرسلين وعلى اله وصحبه أجمعين .